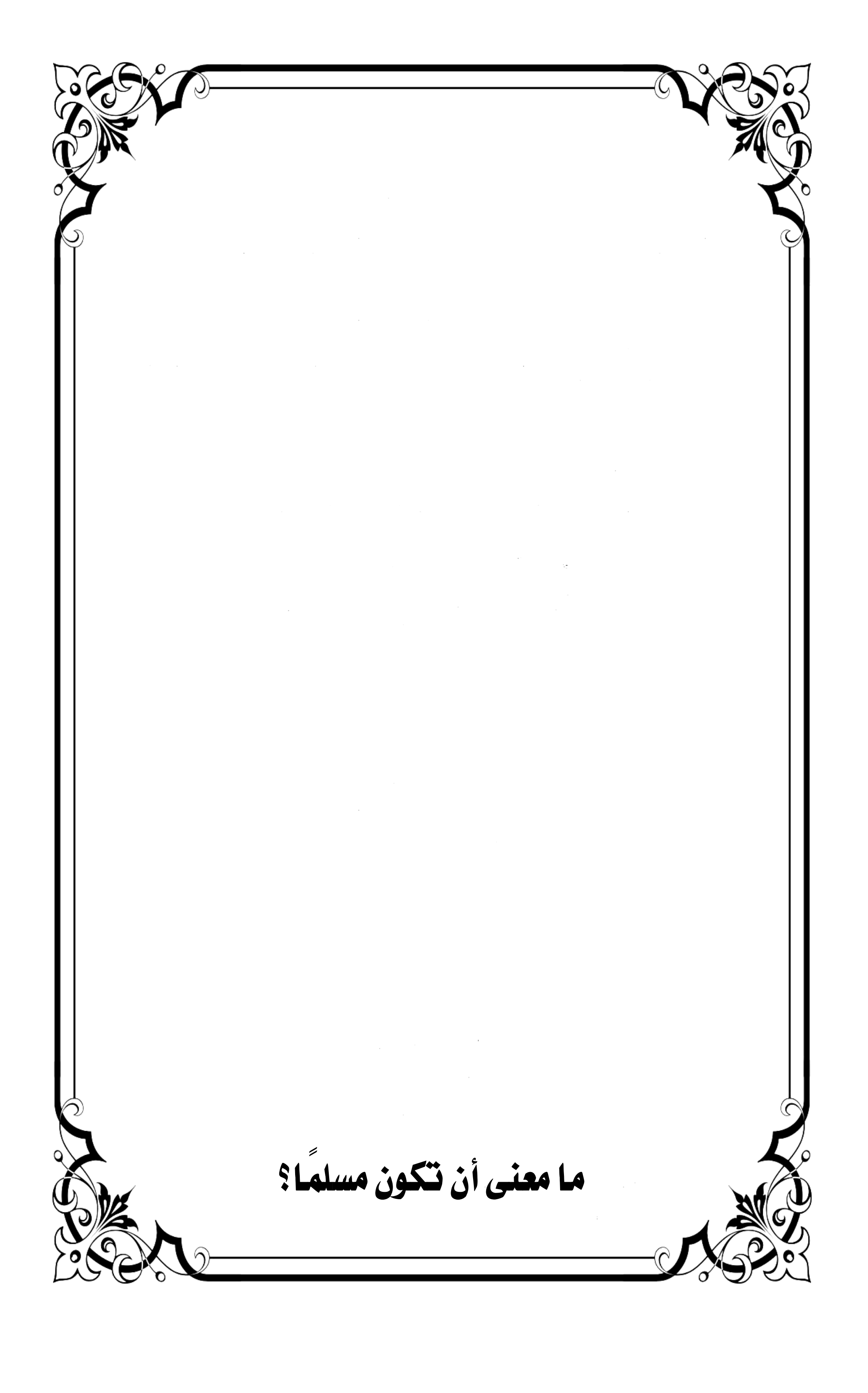
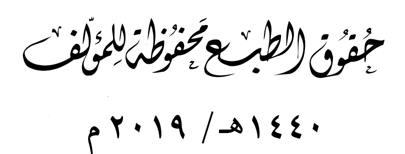


ما معنى أن تكون مسلمًا؟



اسم الكتاب: ما معنى أن تكون مسلمًا؟

اسم المؤلف: محمود حسين عوض

الطبعة الأولى: ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨ م

الطبعة الثانية : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩ م

مقاس الكتاب: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ٧٢ صفحة

رقم الإيداع: **٢٠١٨/٢٦٩٧٢**

الترقيم الدولي : **٧-٧-٨٥٤٥٧-٩٧٧-٩٧٨**



العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: 01102260020 – 01019757010

website: http://tbseir.com twitter: @tabseir Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com

ما معنى أن تكون مسلمًا؟

تأليف

محمود حسين عوض

كَانَ اللهُ لَهُ





إِهْــــدَاءٌ

إِلَى أُمَّةٍ مَرْحُومَةٍ يَجِبُ عَلَى أَبْنَائِهَا

أَنْ يَقُومُوا بِوَاجِبِ الْبِرِّ لِدِينِهَا

وَتُرَاثِهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا

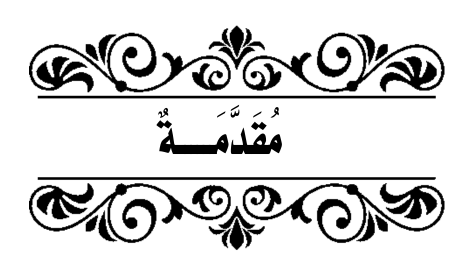
مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ؛ وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ هِيَ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ تَخْرُجُ لِلْقُرَّاءِ مَزِيدَةً وَمُحَقَّقَةً بَعْدَ نَفَادِ الطَّبْعَةِ الْأُولَىٰ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ -، وَقَدْ لَاقَتْ إِعْجَابَ الْقُرَّاءِ وَالْبَاحِثِينَ غَيْرَ أَنِّي وَجَدْتُ أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ مَزِيدِ عِنَايَةٍ وَتَوْضِيحِ عِبَارَةٍ، وَإِسْهَابٍ فِيمَا يَحْتَاجُ الْقَارِئُ فِيهِ مِنْ إِسْهَابٍ وَشَرْحٍ، فَكَانَتْ وَالْفَضْلُ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي صُورَتِهَا هَذِهِ قَرِيبَةَ الْمَنَالِ، وَبَدِيعَةَ الْمَقَالِ، وَمُحَرَّرَةً وَمُصَفَّاةً لِلنَّاهِلِينَ، فَاللهُ أَسْأَلُهُ تَعَالَىٰ أَجْرَهَا يَوْمَ أَلْقَاهُ.

وَلَا أَنْسَىٰ أَنْ أَشْكُرَ مَرْكَزَ تَبْصِيرٍ عَلَىٰ مَا قَدَّمَهُ وَيُقَدِّمُهُ مِنْ مَجْهُودٍ كَبِيرٍ لِإِخْرَاجِ مَا يَنْفَعُ فِي أَتَمِّ صُورَةٍ وَأَكْمَلِهَا.





مُقَدِّمَــةٌ

الْحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ؛ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي وَاقِعَةٍ عَجِيبَةٍ، رَوَىٰ لَنَا أَحْدَاثَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُتْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَخْبَرَهُ مِنْ فِيهِ إِلَىٰ فِيهِ؛ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ [يَعْنِي: لَمَّا عُقِدَتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ]، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّأْمِ[1] إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ -يَعْنِي: عَظِيمَ الرُّومِ - قَالَ: - وَكَانَ

(١) **بِالْهَمْزِ وَالتَّسْهِيلِ**: فَيُقَالُ: الشَّامُ، وَيُقَالُ: الشَّأْمُ، وَيُقَابِلُهَا الْيَمَنُ، وَسُمِّيَتِ الشَّامُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا عَنْ مَشْأَمَةِ الْقِبْلَةِ، وَمِنْهُ سُمِّيتِ الْيَمَنُ؛ لِأَنَّهَا عَنْ مَيْمَنَتِهَا. انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» (١٢/ ٣١٤).

دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَىٰ إِلَىٰ هِرَقْلَ.

فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟!

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ [أَبُو سُفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَدَخَلْنَا عَلَىٰ هِرَقْلَ فَأَجْلَسَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟!

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا.

فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، **ثُمَّ دَعَا** بِتَرْجُمَانِهِ.

فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ [يَعنِي: لِلنَّفَرِ الَّذِينَ مَعَ أَبِي سُفيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ اللهِ لَوْلَا مَخَافَةَ أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيَّ الْكَذِبُ لَكَذَبْتُ!

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ: كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟

قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: وَمَنْ يَتَّبِعُهُ؛ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟

قَالَ: قُلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا؛ يُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْهُ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قُلْتُ: لَا. وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا! - قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ -.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَا.

قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ؛ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؛ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا؛ فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ.

وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؛ فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ؛ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَهُ سَخْطَةً لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّىٰ يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَدْ قَاتَلْتُمُوهُ، فتكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَهُ سِجَالًا؛ يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَىٰ ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا؛ فَقُلْتُ: لَوْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؛ قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟

قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالْعَفَافِ.

قَالَ: إِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا؛ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ.

قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٦٤].

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ؛ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأَمَرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا.

قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ؛ إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ! فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّىٰ أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ»[١].

وَالَّذِي يُثِيرُ الْعَجَبَ: أَنَّكَ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - الْيَوْمَ - لَا يَعْرِفُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَنَبِيِّهِ ﷺ؛ هَذَا الَّذِي عَرَفَهُ وَأَجَابَ بِهِ أَبُو سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقْتَ أَنْ كَانَ مُشْرِكًا كَافِرًا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ! وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَعَيِّنَ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ؛ أَنْ يَعْرِفَ «مَا مَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا؟»، أَوْ قُلْ: «كَيْفَ يَكُونُ مُسْلِمًا؟»، وَهَذَا مِنْ أَوَّلِيَّاتِ مَا يَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ مَعْرِفَتُهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الثُّلَّةِ الَّتِي وَعَدَهَا اللهُ بِالْجَنَّةِ.

فَالْإِسْلَامُ هُوَ: «الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ»، وَتَحْتَ كُلِّ مَعْنًىٰ كُلِّيٍّ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي شُرُوطٌ

---

(١) **مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابُ: بَدْءِ الْوَحْيِ، بَابٌ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْيَمَانِ! (١/ ١٥) بِرَقْمِ: (٧)، وَمَوَاضِعَ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ: الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابِ: كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ (٥/ ١٦٣) بِرَقْمِ: (٤٧٠٧).

وَلَوَازِمُ لَابُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ مَعْرِفَتِهَا؛ وَلِذَلِكَ كَتَبْتُ هَذَا السِّفْرَ اللَّطِيفَ الَّذِي أَرَىٰ وُجُوبًا عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِيهِ، وَأَنْ يَنْشُرَهُ بَيْنَ النَّاسِ؛ عَسَاهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَمَنْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ.

وَجَعَلْتُهُ أَبْوَابًا، فِي كُلِّ بَابٍ أَذْكُرُ رُكْنًا مِنَ الْأَرْكَانِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَرْتَكِزَ عَلَيْهَا **لِكَيْ يَصِحَّ إِسْلَامُهُ**؛ حَتَّىٰ يَصِحَّ لَهُمْ مَعْرِفَةُ الْجَوَابِ عَلَىٰ سُؤَالٍ مِنْ أَهَمِّ مَا يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَوَابِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ: **مَا مَعْنَىٰ أَنْ تَكُونَ مُسْلِمًا؟**

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلْعَمَلِ لِدِينِهِ وَبِهِ، وَأَنْ يَشْكُرَ سَعْيَنَا؛ إِنَّهُ الشَّكُورُ الْوَدُودُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ. آمِينَ.

وَكَتَبَ

مَحْمُودُ بْنُ حُسَيْنٍ آلُ عِوَضٍ

عَفَا اللهُ عَنْهُ



أَنْ تَكُـونَ مُوَحِّـدًا

إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَوْحِيدُهُ، وَهَذَا رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْأَوَّلُ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسَةٍ: عَلَىٰ أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ»[(١)].

فَقَالَ رَجُلٌ [لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ]: «الْحَجُّ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لَا، «صِيَامُ رَمَضَانَ وَالْحَجُّ»، هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ **اللهِ** ﷺ.

---

(١) **مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ: الْإِيمَانِ، بَابٌ: دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ. (١/ ١٩) بِرَقْمِ: (٨)، وَمَوَاضِعَ - بِأَلْفَاظٍ شَتَّىٰ -، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ: الْإِيمَانِ، بَابِ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ**» (١/ ٣٤) بِرَقْمِ: (١٢٠) وَمَوَاضِعَ، وَاللَّفْظُ لَهُ.

فَالرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَقَدِ ابْتُلِيَتِ الْأُمَّةُ بِأُنَاسٍ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ تَوْحِيدَ الْمُشْرِكِينَ! وَيُهْمِلُونَ التَّوْحِيدَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ أَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَيْهِ، فتراهم وَتَأَمَّلْ فِي أَجْوِبَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَا مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» -وَهِيَ شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ، وَرُكْنُ الْإِسْلَامِ الْأَعْظَمُ-؟

فَإِنَّكَ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ تَسْمَعُ جَوَابَهُمْ بِأَنَّ مَعْنَاهَا: لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ.

وَهَذَا الْجَوَابُ لَا يَفِي بِمَعْنَاهَا، بَلْ قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ آمَنَ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ فَحَسْبُ **دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ مَقْصُودِ الرِّسَالَةِ**، وتَأَمَّلْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٦١ - ٦٣].

فَالْمُشْرِكُونَ إِذَنْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ، وَالرَّازِقَ وَاحِدٌ! وَهُوَ اللهُ، فَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ وُصِفُوا بِالشِّرْكِ؟

وَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ قَاتَلُوا رَسُولَ اللهِ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ؟

الْجَوَابُ: فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ - آمِرًا نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ هَذَا -:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٨ - ٤٠].

إِنَّهُ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِنَّهُ إِفْرَادُ اللهِ بِمَا يَسْتَحِقُّ، إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَكُونُ مُوَحِّدًا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ التَّوْحِيدَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَا رَازِقَ إِلَّا هُوَ، أَوْ لَا حَاكِمَ بِحَقٍّ إِلَّا هُوَ، حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِذَلِكَ وَبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ وَحْدَهُ؛ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا فِي خَلْقِهِ، وَلَا فِي حُكْمِهِ، وَلَا فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ له وحده.

وَهَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّونَ وَالْمُرْسَلُونَ، وَفَهِمَهُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ الْمُشْرِكُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ - وَهُوَ يَقُصُّ رَفْضَ الْمُشْرِكِينَ دِينَهُ وَرِسَالَةَ نَبِيِّهِ ﷺ -:

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ

يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٤ – ٧].

«**قَوْلُهُ [تَعَالَىٰ]**: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾:

قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ سَاحِرٌ كَذَّابٌ: أَجَعَلَ مُحَمَّدٌ الْمَعْبُودَاتِ كُلَّهَا وَاحِدًا، يَسْمَعُ دُعَاءَنَا جَمِيعَنَا، وَيَعْلَمُ عِبَادَةَ كُلِّ عَابِدٍ عَبَدَهُ مِنَّا، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾؛ أَيْ: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ.

عَنْ قَتَادَةَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾؛ **قَالَ**:

عَجِبَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، **وَقَالُوا**: يَسْمَعُ لِحَاجَاتِنَا جَمِيعًا إِلَهٌ وَاحِدٌ! ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

وَكَانَ سَبَبُ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «**أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُجِيبُونِي إِلَىٰ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُعْطِيكُمْ بِهَا الْخَرَاجَ الْعَجَمُ**».

فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟

فَقَالَ: «**تَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾؛ تَعَجُّبًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ»[1].

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢١/ ١٤٩) – بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ –.

فَقَدْ فَهِمُوا مَا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ؛ وَهُوَ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ: مَا دُمْتُمْ تَعْتَقِدُونَ الْحَقَّ بِأَنَّ الْخَالِقَ وَالْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ؛ فَهُوَ -إِذَنْ- الْمُسْتَحِقُّ لِدُعَائِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ وَسَائِرِ عِبَادَاتِكُمْ دُونَ غَيْرِهِ، فَلَا تَعْبُدُوا الْآلِهَةَ الْمَعْبُودَةَ بِبَاطِلٍ، وَاعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَهُنَا يَتَجَلَّىٰ لَكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَرُ: ٢، ٣].

فَمَا أَوْضَحَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ! وَمَا أَمْتَعَ بَيَانَهُ الدَّقِيقَ! فَفِي الْآيَاتِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَامَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الْمَعَارِكُ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ اللهُ، وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ **لَابُدَّ لِكَيْ يَنْفَعُهُمْ أَلَّا يَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَا يَتَقَرَّبُوا لَهُ بِسِوَاهُ**، فَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ وَسَائِطَ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ لَا يُفَسِّرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بِشَيْءٍ مِنْ مُفْرَدَاتِ مَعْنَاهَا كَحَالِ مَنْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهِمْ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنَّ مَعْنَاهَا: لَا مَوْجُودَ إِلَّا اللهُ!

كَيْفَ؟! إِنَّهَا عَقِيدَةُ الْحُلُول بِاعْتِقَادِ حُلُولِ اللهِ وَاتِّحَادِهِ فِي خَلْقِهِ! وَحَاشَاهُ سُبْحَانَهُ؛ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ حَالًّا فِي مَخْلُوقٍ، أَوْ أَنْ يَتَّحِدَ مَعَ مَخْلُوقٍ مَرْبُوبٍ مَقْهُورٍ لَهُ سُبْحَانَهُ، لَهُ الْعُلُوُّ؛ عُلُوُّ الشَّأْنِ وَالذَّاتِ وَالْقَدْرِ وَالْمَكَانَةِ وَالْمَكَانِ، فَانْظُرْ كَيْفَ لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِالْمُشْرِكِينَ الْأَوَائِلِ!

وَانَظُرْ كَيْفَ لَبَّسَ عَلَىٰ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَهُمْ حَتَّىٰ سَلَخَهُمْ مِنْهُ!

فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِمَا يَسْتَحِقُّ؛ فَهُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ وَحْدَهُ، وَهُوَ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي كَمَالَاتِهِ أَحَدٌ، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ: ٣٦]؛ **عَلِمْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الْحَقَّ لَيْسَ هَذَا الَّذِي يَبُثُّهُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ، وَيُرَوِّجُ لَهُ هَؤُلَاءِ الضُّلَّالُ.**

وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ: أَنَّهُ لَا تَوْحِيدَ لِمَنْ لَمْ يَنْفِ نَفْيًا عَامًّا وَيُثْبِتْ إِثْبَاتًا تَامًّا، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ يَتَّضِحُ عِنْدَ تَأَمُّلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَإِنَّهَا شَمَلَتِ النَّفْيَ، نَفْيَ الْأُلُوهِيَّةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَأَثْبَتَتْهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَأَصْلُ ذَلِكَ: أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَا تُصْرَفُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

فَيَخْلَعَ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ مَعْبُودٍ بِبَاطِلٍ. وَيَلْزَمُهُ فِي هَذَا أَنْ يَعْرِفَ مَا هِيَ الْعِبَادَةُ أَوَّلًا، فَالْعِبَادَةُ – كَمَا عَرَّفَهَا الْعُلَمَاءُ –: «كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِمَّا يُضَادُّ ذَلِكَ»، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَنْ يَصِلَ الْمَرْءُ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

وَمِنْ ذَلِكَ – أَيْضًا – أَنْ يَبْرَأَ مِنْ مَظَاهِرِ الشِّرْكِ، وَأَهْلِهِ، فَقَدْ أَخْبَرَ ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

نَذَرَ رَجُلٌ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟».

قَالُوا: لَا.

قَالَ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟».

قَالُوا: لَا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»[١].

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، كِتَابِ: الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابِ: مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ (٣/ ٢٣٦)، بِرَقْمِ: (٣٣١٥)، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ حَافَظَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ عِبَادَةِ الْمُسْلِمِينَ أَلَّا تَقَعَ فِي مَكَانٍ كَانَ فِيهِ وَثَنٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ يَتَّخِذُهُ الْمُشْرِكُونَ عِيدًا.

وَمَنْ تَأَمَّلَ كَوْنَ الْعَبْدِ خَالِصًا لِخَالِقِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ شُرَكَاءُ، وَكَوْنَهُ مُوَزَّعَ الْأَهْوَاءِ؛ يَعْبُدُ هَوَاهُ تَارَةً، وَيَعْبُدُ شَيْطَانَهُ تَارَةً، وَيَخْبِطُ فِي غَيْرِ سَبِيلٍ تَارَاتٍ؛ فَمَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ عَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَمَرَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ فِي «قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٢٩].

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُشْرِكِ وَالْمُوَحِّدِ؛ فَالْمُشْرِكُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدٍ يَمْلِكُهُ جَمَاعَةٌ مُتَنَازِعُونَ مُخْتَلِفُونَ مُتَشَاحُّونَ، وَالرَّجُلُ الْمُتَشَاكِسُ: الضَّيِّقُ الْخُلُقِ، فَالْمُشْرِكُ لَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آلِهَةً شَتَّى شُبِّهَ بِعَبْدٍ يَمْلِكُهُ جَمَاعَةٌ مُتَنَافِسُونَ فِي خِدْمَتِهِ، لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَبْلُغَ رِضَاهُمْ أَجْمَعِينَ، وَالْمُوَحِّدُ لَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ؛ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ عَبْدٍ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، قَدْ سَلَّمَ لَهُ، وَعَلِمَ مَقَاصِدَهُ، وَعَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَىٰ رِضَاهُ؛ فَهُوَ فِي رَاحَةٍ مِنْ تَشَاحُنِ الْخُلَطَاءِ فِيهِ، بَلْ هُوَ سَالِمٌ لِمَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ تَنَازُعٍ فِيهِ، مَعَ رَأْفَةِ مَالِكِهِ بِهِ، وَرَحْمَتِهِ لَهُ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ،

وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَتَوَلِّيهِ لِمَصَالِحِهِ، فَهَلْ يَسْتَوِي هَذَانِ الْعَبْدَانِ؟!

وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْأَمْثَالِ؛ فَإِنَّ الْخَالِصَ لِمَالِكٍ وَاحِدٍ يَسْتَحِقُّ مِنْ مَعُونَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَالْتِفَاتِهِ إِلَيْهِ وَقِيَامِهِ بِمَصَالِحِهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ صَاحِبُ الشُّرَكَاءِ الْمُتَشَاكِسِينَ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾»[1].

فَـ«حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَلَّا تُحِبَّ إِلَّا اللهَ، وَتُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ للهِ؛ فَلَا تُحِبُّ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا تُبْغِضُ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٦٥]»[2]، فَإِنْ عَمِلَ الْعَبْدُ بِذَلِكَ فَقَدْ عَمِلَ بِـ«حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ؛ وَهُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَقَدْ فَنِيَ مِنْ قَلْبِهِ التَّأَلُّهُ لِغَيْرِ اللهِ، وَبَقِيَ فِي قَلْبِهِ تَأَلُّهُ اللهِ وَحْدَهُ، وَفَنِيَ مِنْ قَلْبِهِ حُبُّ غَيْرِ اللهِ، وَخَشْيَةُ غَيْرِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَبَقِيَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ اللهِ، وَخَشْيَةُ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ.

وَهَذَا الْفَنَاءُ يُجَامِعُ الْبَقَاءَ؛ فَيَتَخَلَّىٰ الْقَلْبُ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، مَعَ تَحَلِّي الْقَلْبِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ ﷺ لِرَجُلٍ: «**قُلْ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، وَتَخَلَّيْتُ**»، وَهُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِالنَّفْيِ مَعَ الْإِثْبَاتِ؛ نَفْيِ إِلَهِيَّةِ غَيْرِهِ، مَعَ

(١) «إِعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١/ ٢٥٣) لِابْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «جَامِعُ الرَّسَائِلِ» (٢/ ٨٤) لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِثْبَاتِ إِلَهِيَّتِهِ وَحْدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَهٌ إِلَّا اللهُ، لَيْسَ فِيهِ مَعْبُودٌ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللهُ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا ثَابِتًا فِي الْقَلْبِ؛ فَلَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ مَنْ يَأْلَهُهُ الْقَلْبُ وَيَعْبُدُهُ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَيَخْرُجُ مِنَ الْقَلْبِ كُلُّ تَأَلُّهٍ لِغَيْرِ اللهِ، وَيَثْبُتُ فِيهِ تَأَلُّهُ اللهِ وَحْدَهُ؛ إِذْ كَانَ لَيْسَ ثَمَّ إِلَهٌ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ»[1].

وَمِنْ مُحَصِّلَةِ مَا مَرَّ تَعْلَمُ: أَنَّ «التَّوْحِيدَ هُوَ أَوَّلُ الدِّينِ وَآخِرُهُ، وَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَآخِرُهَا، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخَشْيَةِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَلِأَجْلِ هَذَا التَّوْحِيدِ خُلِقَتِ الْخَلِيقَةُ، وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَبِهِ افْتَرَقَ النَّاسُ إِلَىٰ مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَسُعَدَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَشْقِيَاءِ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢١]، فَهَذَا أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٥٩]، فَهَذِه دَعْوَةُ أَوَّلِ رَسُولٍ بَعْدَ حُدُوثِ الشِّرْكِ.

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (١٣/ ٢٠٠) لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٦٥].

وَقَالَ صَالِحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٧٣].

وَقَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٨٥].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الْأَنْعَامُ: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الْأَعْرَافُ: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٥٦]»[١].

وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَيْسَ مُجَرَّدَ كَلِمَةٍ يَلُوكُهَا الْمُوَحِّدُونَ؛ بَلْ هُوَ حَيَاةٌ يَحْيَاهَا مَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتَهُ، فَلَابُدَّ لِلْعَبْدِ إِذَنْ مِنَ الْقِيَامِ بِمُقْتَضَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُوجِبُهُ، عَلَىٰ مَنْ أَقَرَّ بِهِ، وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ:

وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَةْ ... فَهْيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةْ

---

(١) «تَيْسِيرُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (صَحِيفَةُ: ٢٠، ٢١)، لِلشَّيْخِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ، رَحِمَهُمَا اللهُ.

مَــنْ قَالَهَــا مُعْتَقِــدًا مَعْنَاهَــا وَكَــانَ عَــامِلًا بِمُقْتَضَــاهَا

فِــي الْقَــوْلِ وَالْفِعْـلِ وَمَـاتَ مُؤْمِنًـا يُبْعَــثُ يَــوْمَ الْحَشْــرِ نَــاجٍ آمِنـا

وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مَعْنَاهُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ، وَمَا عُبِدَ مِنْ دُونِهِ إِنَّمَا عَبَدَهُ الْعَابِدُونَ بِبَاطِلٍ، وَفِي هَذَا قِيلَ:

فَــإِنَّ مَعْنَاهَــا الَّــذِي عَلَيْــهِ دَلَّــتْ يَقِينًــا وَهَــدَتْ إِلَيْــهِ

أَنْ لَــيْسَ بِــالْحَقِّ إِلَــهٌ يُعْبَــدُ إِلَّا الْإِلَــهُ الْوَاحِــدُ الْمُنْفَــرِدُ

بِــالْخَلْقِ وَالــرِّزْقِ وَبِالتَّــدْبِيرِ جَــلَّ عَــنِ الشَّــرِيكِ وَالنَّظِيــرِ

وَيُكْمِلُ الْعَلَّامَةُ الْأَدِيبُ حَافِظ حكمي مَنْظُومَتَهُ بِبَيَانِ مَا يَجِبُ عَلَىٰ الْمُوَحِّدِ، فَيَقُولُ:

وَبِشُــرُوطٍ سَــبْعَةٍ قَــدْ قُيِّــدَتْ وَفِي نُصُوصِ الْـوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

فَإِنَّــهُ لَــمْ يَنْتَفِــعْ قَائِلُهَــا بِــالنُّطْقِ إِلَّا حَيْــــــثُ يَسْــــــتَكْمِلُهَا

الْعِلْـــمُ وَالْيَقِـــينُ وَالْقَبُـــولُ وَالِانْقِيَــادُ فَــادْرِ مَــا أَقُــولُ

وَالصِّــدْقُ وَالْإِخْــلَاصُ وَالْمَحَبَّــةُ وَفَّقَــكَ اللهُ لِمَــا أَحَبَّــهُ

وَفَهْمُ هَذِهِ الشُّرُوطِ مِنْ أَوْثَقِ مَا يَجِبُ؛ حَتَّىٰ يَتَحَلَّىٰ بِهَا الْمُوَحِّدُ وَيَرْعَىٰ جَنَابَهَا لِيَسْلَمَ لَهُ إِسْلَامُهُ.

فَالشَّرْطُ الأَوَّلُ هُوَ: الْعِلْمُ:

وَهُوَ الْعِلْمُ بِمَعْنَىٰ الشَّهَادَةِ وَحَقِيقَتِهَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّدٌ: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[١].

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: الْيَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ:

بِأَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَدْلُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ يَقِينًا جَازِمًا؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يُغْنِي فِيهِ إِلَّا عِلْمُ الْيَقِينِ لَا عِلْمُ الظَّنِّ؛ فَكَيْفَ إِذَا دَخَلَهُ الشَّكُّ؟! قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الْحُجُرَاتُ: ١٥].

فَاشْتَرَطَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي صِدْقِ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ كَوْنَهُمْ لَمْ يَرْتَابُوا؛ أَيْ: لَمْ يَشُكُّوا، فَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَهُوَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥) (رقم:٤٣)، ك/ الإيمان، باب/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

وَقَدْ أَكَّدَ ذَلِكَ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ بِنَعْلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ؛ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»(٢).

فَاشْتَرَطَ فِي دُخُولِ قَائِلِهَا الْجَنَّةَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهَا.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: الْقَبُولُ:

أَيْ يَقْبَلُ الْمُسْلِمُ مَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَقَدْ قَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ مِنْ إِنْجَاءِ مَنْ قَبِلَهَا وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ رَدَّهَا وَأَبَاهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥) (رقم: ٢٧)، ك/ الإيمان، باب/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٩، ٦٠) (رقم: ٣١)، ك/الإيمان، باب/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزُّخْرُفُ: ٢٣- ٢٥].

فَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ مُقْتَضَىٰ التَّوْحِيدِ؛ وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِمَا يَسْتَحِقُّ فِي ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِنَّهُ مُتَّصِفٌ وَحْدَهُ بِالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَكَمَا أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ فِي أَفْعَالِهِ وَكَلَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَانْفِرَادُهُ سُبْحَانَهُ بِالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْخَلْقِ؛ يُوجِبُ لَهُ الِانْفِرَادَ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَإِفْرَادَهُ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِمَّا أَمَرَ بِهِ، فَهَذَا هُوَ مُقْتَضَىٰ هَذَا الْمِيثَاقِ وَمَعْنَىٰ هَذِهِ الشَّهَادَةِ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٧٥)، ك/ العلم، باب/ فضل من عَلِمَ وعَلَّم.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: الانْقِيَادُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمُنَافِي لِتَرْكِ ذَلِكَ:

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النِّسَاءُ: ١٢٥].

وَمَعْنَىٰ: «يُسْلِمُ وَجْهَهُ»: أَيْ: يَنْقَادُ وَهُوَ مُحْسِنٌ مُوَحِّدٌ، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ وَلَمْ يَكُ مُحْسِنًا؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَمْسِكْ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ.

الشَّرْطُ الْخَامِسُ: الصِّدْقُ فِيهَا الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ:

وَهُوَ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ يُوَاطِئُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١ - ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوهَا كَذِبًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [الْبَقَرَةُ: ٨- ١١].

وَكَمْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَبْدَىٰ وَأَعَادَ وَكَشَفَ أَسْتَارَهُمْ وَهَتَكَهَا، وَأَبْدَىٰ فضائحهم فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ كَالْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ وَالْأَنْفَالِ وَالتَّوْبَةِ، وَسُورَةٍ كَامِلَةٍ فِي شَأْنِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ! وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ

مُعَاذِ بْنِ جبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**»(١).

فَاشْتَرَطَ فِي إِنْجَاءِ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنَ النَّارِ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ فَلَا يَنْفَعُهُ مُجَرَّدُ اللَّفْظِ بِدُونِ مُوَاطَأَةِ الْقَلْبِ.

الشرط السَّادِسُ: الإِخْلَاصُ:

وَهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَرُ: ٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [الْبَيِّنَةُ: ٥].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٢).

---

(١) متفق علىٰ صحته؛ أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٢٦)، ك/ العلم، باب/ من خص بالعلم قومًا دون قوم. ومسلم في صحيحه (١/ ٦١) (رقم: ٣٢)، ك/ الإيمان، باب/ الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(٢) متفق علىٰ صحته؛ أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٥١٨)، ك/ الصلاة، باب/ إذا دخل بيتًا يصلي حيث يشاء. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥٦) (رقم: ٢٦٤)، ك/ المساجد، باب/ الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.

الشرط السَّابِعُ:

الْمَحَبَّةُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ، وَلِأَهْلِهَا الْعَامِلِينَ بِهَا الْمُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا، وَبُغْضُ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ؛ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٦٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٥٤].

فَأَخْبَرَنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشْرِكُوا مَعَهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَحَدًا كَمَا فَعَلَ مُدَّعُو مَحَبَّتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَعَلَامَةُ حُبِّ الْعَبْدِ رَبَّهُ؛ تَقْدِيمُ مَحَابِّهِ وَإِنْ خَالَفَتْ هَوَاهُ، وَبُغْضُ مَا يُبْغِضُ رَبُّهُ وَإِنْ مَالَ إِلَيْهِ هَوَاهُ، وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ، وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ ﷺ وَاقْتِفَاءُ أَثَرِهِ وَقَبُولُ هُدَاهُ. وَكُلُّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ شُرُوطٌ فِي الْمَحَبَّةِ لَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ الْمَحَبَّةِ مَعَ عَدَمِ وُجُودِ شَرْطٍ مِنْهَا»[1].

وَبِهَذَا يَعْلَمُ الْعَبْدُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِتَحَقُّقِ التَّوْحِيدِ وَيُقْبَلُ مِنْهُ.

(١) والأبيات المذكورة من منظومة العلامة الأديب حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (سلم الوصول)، وشرح الشروط من شرحه عليها في كتابه (معارج القبول)، مع تصرف واختصار غير يسير - فمن أراد الاستزادة فعليه بمراجعته -.

أَنْ تَكُـــونَ مُتَّبِعــًا

وَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُتَّبِعًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَجْهَلُ مَعْنَىٰ شَهَادَةِ: «أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ﷺ»، وَمَعْنَاهَا: أَنَّهُ ﷺ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِبَلَاغِ دِينِهِ الْخَاتَمِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينٌ غَيْرُهُ لِلثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ١٥٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٩].

وَنَبِيُّنَا ﷺ قَدْ بُعِثَ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي لَا مَصْدَرَ لَنَا لِمَعْرِفَتِهِ إِلَّا مِنْ خِلَالِهِ، وَلِذَلِكَ وَجَبَ عَلَىٰ مَنْ آمَنَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أُمُورٌ، وَهِيَ:

١ – تَصْدِيقُهُ ﷺ –بَاطِنًا وَظَاهِرًا– فِيمَا أَخْبَرَ.

٢– امْتِثَالُ مَا بِهِ أَمَرَ.

٣– اجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ.

٤ – أَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ ﷺ.

٥- أَنْ تُقَدَّمَ مَحَبَّتُهُ ﷺ عَلَىٰ كُلِّ الْمَحَابِّ، عَلَىٰ مَحَبَّةِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَبِهَذِهِ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ يَسْلَمُ الْعَبْدُ مِنْ نَاقِضٍ يَنْقُضُ مَا تَقْتَضِيهِ الشَّهَادَةِ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ**﴾ [سُورَةُ النَّجْمِ: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا**﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٦٥].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ نَفْيِ الْإِيمَانِ عَنِ الْعِبَادِ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ فِي كُلِّ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ، وَلَمْ يَكْتَفِ فِي إِيمَانِهِمْ بِهَذَا التَّحْكِيمِ بِمُجَرَّدِهِ حَتَّىٰ يَنْتَفِي عَنْ صُدُورِهِمُ الْحَرَجُ وَالضِّيقُ عَنْ قَضَائِهِ وَحُكْمِهِ، وَلَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ أَيْضًا بِذَلِكَ حَتَّىٰ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، وَيَنْقَادُوا انْقِيَادًا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٣٦]؛ فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَخْتَارَ بَعْدَ قَضَائِهِ وَقَضَاءِ رَسُولِهِ، وَمَنْ تَخَيَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا.

مَعْنَى التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ:

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ**

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: ١]؛ أَيْ: لَا تَقُولُوا حَتَّىٰ يَقُولَ، وَلَا تَأْمُرُوا حَتَّىٰ يَأْمُرَ، وَلَا تُفْتُوا حَتَّىٰ يُفْتِيَ، وَلَا تَقْطَعُوا أَمْرًا حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ فِيهِ وَيُمْضِيهِ، رَوَىٰ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»، وَرَوَىٰ الْعَوْفِيُّ عَنْهُ قَالَ: «نُهُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ كَلَامِهِ».

وَالْقَوْلُ الْجَامِعُ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ: لَا تَعْجَلُوا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ يَفْعَلَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: ٢]، فَإِذَا كَانَ رَفْعُ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ سَبَبًا لِحُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَكَيْفَ تَقْدِيمُ آرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَذْوَاقِهِمْ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ، وَرَفْعُهَا عَلَيْهِ؟! أَلَيْسَ هَذَا أَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُحْبِطًا لِأَعْمَالِهِمْ؟!»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ١٥٧].

(١) «إِعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١/ ٥١) لِابْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُٱللَّهُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النِّساءُ: ٨٠ – ٨٣].

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرِهَا الْكَثِيرِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْمُحْكَمِ؛ عَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ – لِيَصِحَّ إِيمَانُهُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ – التَّصْدِيقُ لَهُ، وَالتَّحَاكُمُ لَهُ، وَالِامْتِثَالُ وَالتَّسْلِيمُ وَالرِّضَا لِأَمْرِهِ ﷺ، وأَلَّا يَعْبُدَ اللهَ إِلَّا عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءِ بِهِ ﷺ.

وَأَمَّا مَحَبَّتُهُ، بَلْ تَقْدِيمُ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَىٰ كُلِّ الْمَحَابِّ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

وَلْيَعْلَمِ الْمُسْلِمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَلَا تَرَكَ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

شَرًّا إِلَّا حَذَّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَمَا قُبِضَ ﷺ إِلَّا وَتَرَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ - تَحْتَاجُهُ أُمَّتُهُ - عِلْمًا، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ فَنَجَا، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ فَغَوَىٰ.

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا.

ثُمَّ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ؛ فَقَالَ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**»[1].

وَهَلْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَذْهَبَ هَذَا الْعِلْمُ الَّذِي بِهِ تَمَّ الدِّينُ هَبَاءً، أَوْ أَنْ يَضِيعَ وَلَا يُحْفَظَ، إِنَّهُ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ اعْتِقَادُهُ أَنَّ اللهَ حَفِظَ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ كَمَا حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ: ٤٤].

وَمَنْ تَأَمَّلَ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ؛ عَلِمَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْزَلَ عَلَىٰ قَلْبِ نَبِيِّهِ ذِكْرًا لِيُبَيِّنَ بِهِ مَا نَزَلَ لِلنَّاسِ مِنَ الْوَحْيِ؛ فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَىٰ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ مُبَيَّنٌ وَمُبَيِّنٌ؛ وَهُمَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ، يُوضِّحُ ذَلِكَ وَيُجَلِّيهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النَّجْمُ: ٣، ٤].

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٢/ ٢١١) بِرَقْمِ: (١٦٢٤).

وَهَذِهِ الْآيَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَعَلَيْهِ: فَإِنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ عَقْلًا أَنْ يَضِيعَ مِنَ الْوَحْيِ شَيْءٌ، وَأَيْضًا مِنَ الْمُحَالِ عَقْلًا أَنْ يَقَعَ حِفْظُ اللهِ لِدِينِهِ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ (الْمُبَيَّنِ) دُونَ أَنْ يَحْفَظَ اللهُ السُّنَّةَ وَهِيَ الْمُبَيِّنَةُ لَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي آيَةِ سُورَةِ النَّحْلِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا.

وَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ ذَلِكَ عَلِمَ حَقِيقَةَ الطَّاعِنِينَ فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهُمْ مَتَىٰ تَشَدَّقُوا بِإِعْمَالِ الْعَقْلِ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ فِعْلِهِمْ أَنَّهُ فِعْلُ إِبْلِيسَ حِينَ رَدَّ الْأَمْرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ بِعَقْلِهِ، وَأَعْطَىٰ لِعَقْلِهِ مُبَرِّرًا؛ قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ١٢].

فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِأَمْرِ اللهِ الثَّابِتِ الصَّحِيحِ الْوَارِدِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِثْلُ ذَلِكَ بِدَعْوَىٰ الْعَقْلِ أَوْ مَا لَفَّ لَفَّهَا! إِنَّ الْعُقُولَ الضَّعِيفَةَ الْخَائِبَةَ هِيَ الَّتِي تَرُدُّ الْوَحْيَ وَتُنْكِرُهُ، وَأَمَّا الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ فَتَقْبَلُهُ وَتُسَلِّمُ لَهُ.



أَنْ تَكُونَ مُمْتَثِلاً لأَوَامِرِ الشَّرْعِ الْحَكِيمِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[1].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ ثَمَانِيَةِ أَسْهُمٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالْجِهَادُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ»[2].

فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيَّنَ ﷺ مَا يَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ مِنْهُ وُجُوبًا عَيْنِيًّا - يَعْنِي: مَا يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ فَرْدٍ بِعَيْنِهِ -، وَفِي كَلَامِ حُذَيْفَةَ

---

(١) **سَبَقَ تَخْرِيجُهُ**: انْظُرْ - مَشْكُورًا غَيْرَ مَأْمُورٍ - صَحِيفَةَ: (ص١٣).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي مُعْجَمِهِ، رَقْمَ (١٦٥)، وَانْظُرْ صَحِيحَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ لِلْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ، رَقْمَ (٢٣٢٤).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بَيَّنَ مَا يَجِبُ عَلَيْهُ وُجُوبًا عَيْنِيًّا وَكِفَائِيًّا - يَعْنِي: مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ، وَضَمَّ لَهُ مَا يَجِبُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ؛ مَتَىٰ قَامَ بِهِ بَعْضُ أَبْنَائِهَا سَقَطَ عَنِ الْبَاقِي؛ وَهُوَ: الْجِهَادُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ -.

وَأَوَّلُ ذَلِكَ الصَّلَاةُ

وَهِيَ عِمَادُ الدِّينِ، مَنْ أَقَامَهَا أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ هَدَمَهَا هَدَمَ الدِّينَ، وَهِيَ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

«**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ**: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٥٩، ٦٠].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لَيْسَ مَعْنَىٰ (أَضَاعُوهَا) تَرَكُوهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَكِنْ أَخَّرُوهَا عَنْ أَوْقَاتِهَا».

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ إِمَامُ التَّابِعِينَ رَحِمَهُٱللَّهُ: «هُوَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ الظُّهْرَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْعَصْرُ، وَلَا يُصَلِّيَ الْعَصْرَ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَلَا يُصَلِّيَ الْمَغْرِبَ إِلَىٰ الْعِشَاءِ، وَلَا يُصَلِّيَ الْعِشَاءَ إِلَىٰ الْفَجْرِ، وَلَا يُصَلِّيَ الْفَجْرَ إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالَةِ وَلَمْ يَتُبْ؛ وَعَدَهُ اللهُ بِغَيٍّ؛ وَهُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ بَعِيدٌ قَعْرُهُ، خَبِيثٌ طَعْمُهُ».

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ٩].

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: الْمُرَادُ بِذِكْرِ اللهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، فَمَنِ اشْتَغَلَ بِمَالِهِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَمَعِيشَتِهِ وَضَيْعَتِهِ وَأَوْلَادِهِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا؛ كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَهَكَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ الصَّلَاةُ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ نَقَصَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ».

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ:

﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ: ٤٢-٤٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ».

وَفِي السُّنَنِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ**».

وَقَالَ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**».

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَا أَنَّهُ لَا حَظَّ لِأَحَدٍ فِي الْإِسْلَامِ أَضَاعَ الصَّلَاةَ».

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا يُحْشَرُ تَارِكُ الصَّلَاةِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَشْتَغِلُ عَنِ الصَّلَاةِ بِمَالِهِ، أَوْ بِمُلْكِهِ، أَوْ بِوَزَارَتِهِ، أَوْ بِتِجَارَتِهِ؛ فَإِنِ اشْتَغَلَ بِمَالِهِ حُشِرَ مَعَ قَارُونَ، وَإِنِ اشْتَغَلَ بِمُلْكِهِ حُشِرَ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَإِنِ اشْتَغَلَ بِوَزَارَتِهِ حُشِرَ مَعَ هَامَانَ، وَإِنِ اشْتَغَلَ بِتِجَارَتِهِ حُشِرَ مَعَ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ تَاجِرِ الْكُفَّارِ بِمَكَّةَ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«**مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ».

وَرَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْإِسْلَامِ؟

قَالَ ﷺ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَلَا دِينَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ**».

وَلَمَّا طُعِنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ: الصَّلَاةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: نَعَمْ، أَمَا إِنَّهُ لَا حَظَّ لِأَحَدٍ فِي الْإِسْلَامِ أَضَاعَ الصَّلَاةَ. وَصَلَّىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَقِيقٍ التَّابِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ».

وَسُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنِ امْرَأَةٍ لَا تُصَلِّي؛ فَقَالَ:** «مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا؛ لَقِيَ اللهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ مُضَيِّعٌ لِلصَّلَاةِ؛ لَمْ يَعْبَأِ اللهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ**»؛ أَيْ: مَا يَفْعَلُ وَمَا يَصْنَعُ بِحَسَنَاتِهِ إِذَا كَانَ مُضَيِّعًا لِلصَّلَاةِ؟!

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «لَا ذَنْبَ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا، وَقَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ».

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أُدْخِلَ قَبْرُهُ سُئِلَ عَنِ الصَّلَاةِ أَوَّلَ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ؛ فَإِنْ جَازَتْ لَهُ نُظِرَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنْ لَمْ تَجُزْ لَهُ لَمْ يُنْظَرْ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ بَعْدُ.

وَقَالَ ﷺ: «إِذَا صَلَّىٰ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ صَعِدَتْ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَلَهَا نُورٌ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ الْعَرْشِ، فَتَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَقُولُ: حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي.

وَإِذَا صَلَّىٰ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا؛ صَعِدَتْ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَعَلَيْهَا ظُلْمَةٌ، فَإِذَا انْتَهَتْ إِلَىٰ السَّمَاءِ تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، وَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، وَتَقُولُ: ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي».

وَرَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَلَاتَهُمْ: مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَمَنِ اسْتَعْبَدَ مُحَرَّرًا، وَرَجُلٌ أَتَىٰ الصَّلَاةَ دِبَارًا»، وَالدِّبَارُ: أَنْ يَأْتِيَهَا بَعْدَ أَنْ تَفُوتَهُ.

وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَمَعَ بَيْنَ صَلاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ؛ فَقَدْ أَتَىٰ بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الْكَبَائِرِ»[1].

وَيَكْفِي تَقْرِيعًا لِلْعَبْدِ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَابَ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ وَهُمْ كُسَالَىٰ! فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يُصَلِّي؟! قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٢].

وَفِيمَا مَرَّ مِنَ النُّصُوصِ إِنْذَارٌ وَوَعِيدٌ لِمَنْ تَهَاوَنَ بِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ، أَمَّا مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا وَأَدَّاهَا كَمَا طُلِبَ مِنْهُ؛ فَلْيُبْشِرْ بِوَعْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَفِي حَدِيثِ حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؛ عَلَىٰ وُضُوئِهَا، وَمَوَاقِيتِهَا، وَرُكُوعِهَا، وَسُجُودِهَا، يَرَاهَا حَقًّا لِلَّهِ عَلَيْهِ؛ حُرِّمَ عَلَىٰ النَّارِ»**[2].

فَأَيُّ بُشْرَىٰ لِلْعَبْدِ -إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ- بَعْدَ هَذِهِ الْبُشْرَىٰ؟!

وَأَيُّ صُحْبَةِ سُوءٍ لَهُ إِنْ هُوَ تَرَكَ الصَّلَاةَ بَعْدَ أَنْ قَرَنَهُ اللهُ مَعَ الْمُكَذِّبِينَ وَالْغَاوِينَ؟!

---

(١) «الْكَبَائِرُ» (صَحِيفَةُ: ١٧)، لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ -.

(٢) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣٠/ ٢٨٨) بِرَقْمِ: (١٨٣٤٦).

وَمَتَىٰ عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الصَّلَاةَ أَعْظَمُ قُرْبَانٍ يُقَدِّمُهُ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ؛ حَرِصَ أَلَّا يَعْبَثَ بِهِ حَدِيثُ النَّفْسِ فِيهَا، وَالْتِفَاتُ الْقَلْبِ فَضْلًا عَنِ الْجَسَدِ، فَكَمْ مِنْ صَلَاةٍ لَا يَقْبَلُهَا اللهُ مِنْ صَاحِبِهَا وَيَرُدُّهَا عَلَيْهِ! وَكَمْ مِنْ صَلَاةٍ قَدْ عَلَتْ بِصَاحِبِهَا حَتَّىٰ سَجَدَ حِينَ سَجَدَ تَحْتَ سَاقِ الْعَرْشِ! وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا نِصْفُهَا**»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقِلَ مِنْهَا**».

فَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ، فَهِيَ سَبِيلُ الْخَيْرِ كُلِّهِ؛ ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٤٥].

وَأَمَّا الرُّكْنُ الثَّالِثُ فَهُوَ الزَّكَاةُ

وَهِيَ نَصِيبٌ لِلْفَقِيرِ مِنْ مَالِ الْغَنِيِّ، مَتَىٰ بَلَغَ الْمَالُ نِصَابًا مُعَيَّنًا، وَمَضَىٰ عَلَيْهِ فِي مِلْكِ صَاحِبِهِ عَامًا كَامِلًا، وَلَهَا أَحْكَامُهَا، وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ.

وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣١/ ١٨٩) بِرَقْمِ: (١٨٨٩٤).

أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ؛ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»[1].

وَفِي حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**فِي كُلِّ إِبِلٍ سَائِمَةٍ؛ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ ابْنَةُ لَبُونٍ، لَا تُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا. مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا مِنْهُ وَشَطْرَ**

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابُ: الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ: الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (٦/ ٢٦٥٧)، رَقْمَ: (٦٨٥٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ: الْإِيمَانِ، بَابِ: الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، (١/ ٣٨) رَقْمَ: (١٣٣).

إِبِلِهِ؛ عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا، لَا يَحِلُّ لِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ»[1].

وَمَنْ نَظَرَ إِلَىٰ تَشْرِيعِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلِمَ أَنَّ بِهِ تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ، وَيَنْتَظِمُ الْمُجْتَمَعُ؛ فَيُحْفَظُ لِلْفَقِيرِ حَقُّهُ، وَيَأْمَنُ الْغَنِيُّ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ، وَكَذَلِكَ مِنْ تَعَدِّي الْفَقِيرِ عَلَيْهِ سَرِقَةً وَنَهْبًا، وَيَكُونُ الْمُجْتَمَعُ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ الْغَنِيِّ أَنْ يُؤَدِّيَ حَقَّ اللهِ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ، وَيَدْفَعَ مَا جَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْفَقِيرِ حَقًّا، وَلْيَعْتَبِرْ مِنْ قَوْمٍ ذَكَرَ اللهُ خَبَرَهُمْ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الْقَلَمُ: ١٧ - ٣٣].

وَمَنْ تَأَمَّلَ الْآيَاتِ اعْتَبَرَ بِهَا وَأَدَّىٰ مَا عَلَيْهِ لِأَصْحَابِهِ.

---

(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، (٣٣/ ٢٢٠) رَقْمَ: (٢٠٠١٦).

ثُمَّ الصَّوْمُ:

وَهُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ -بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ-، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٨٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٨٥].

وَفِي آيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِجْمَالُ أَحْكَامِ الصِّيَامِ، وَيَتَفَرَّعُ عَنْهَا مَا يُقَاسُ عَلَىٰ مَا قَضَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا.

وَتَارِكُ الصَّوْمِ بِلَا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، مَعَ اسْتِحْلَالِهِ لِتَرْكِهِ؛ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَارِكُهُ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِجُرْمِهِ وَذَنْبِهِ صَاحِبُ كَبِيرَةٍ، وَأَشَرُّ مِنَ الزَّانِي وَالسَّارِقِ وَشَارِبِ الْخَمْرِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إِذَا أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِتَحْرِيمِهِ؛ اسْتِحْلَالًا لَهُ؛

وَجَبَ قَتْلُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا عُوقِبَ عَنْ فِطْرِهِ فِي رَمَضَانَ»[١].

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ مُقَرَّرٌ أَنَّ مَنْ تَرَكَ صَوْمَ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ؛ أَنَّهُ شَرٌّ مِنَ الزَّانِي وَمُدْمِنِ الْخَمْرِ، بَلْ يَشُكُّونَ فِي إِسْلَامِهِ، وَيَظُنُّونَ بِهِ الزَّنْدَقَةَ وَالِانْحِلَالَ»[٢].

وَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ الثَّابِتِ الصَّحِيحِ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:

«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا، فَقَالَا لِي: اصْعَدْ. حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ، فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ شَدِيدٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالَ: هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ. ثُمَّ انْطُلِقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا؛ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ»[٣].

---

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ (٢٥/ ٢٦٥).

(٢) الْكَبَائِرُ (صَحِيفَةَ: ٦٤) لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ.

(٣) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣/ ٢٣٧) رَقْمَ: (١٩٨٦)، وَغَيْرُهُ.

فَكَيْفَ بِالَّذِينَ لَا يَصُومُونَ؟! وَأَيْنَ هُمْ؟! فَذِكْرُهُ لِشَدِيدِ عِقَابِ مَنْ يُفْطِرُ قَبْلَ تَحِلَّةِ الصَّوْمِ -يَعْنِي: قَبْلَ إِتْمَامِهِ-، وَعَدَمُ ذِكْرِهِ لَهُمْ؛ إِنْذَارٌ شَدِيدٌ لِعِظَمِ جُرْمِهِمْ وَشَدِيدِ عِقَابِهِمْ.

وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلصَّائِمِينَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ. يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ؛ يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»[1].

وَقَدِ انْتَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ الِاسْتِهَانَةُ بِالصِّيَامِ! وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِلْجَهْلِ بِمَكَانَةِ الصِّيَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَمَا أَظُنُّهُمْ يَسْتَهِينُونَ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا ذَكَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَنَبِيُّهُ ﷺ فِي حَقِّ مَنْ صَامَ وَعْدًا، وَفِي حَقِّ مَنْ تَرَكَ الصِّيَامَ وَعِيدًا وَزَجْرًا.

وَالْخَامِسُ حَجُّ بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٩٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ: ٢٧].

وَهَذَا هُوَ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْخَامِسُ لِمَنِ اسْتَطَاعَهُ، وَالِاسْتِطَاعَةُ - كَمَا عَرَّفَهَا الْعُلَمَاءُ - مَرْكَبٌ وَزَادٌ. وَالْحَجُّ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ؛ كَمَا جَاءَ عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ:

دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَأَوْضَعَ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ، وَأَرَاهُمْ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ، وَأَمَرَهُمْ بِالسَّكِينَةِ، وَقَالَ: «**لِتَأْخُذْ أُمَّتِي مَنَاسِكَهَا، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاهُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا**»(١).

وَقَدْ سُئِلَ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ وَمَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللهِ إِنْ هُوَ امْتَثَلَهَا، وَأَدَّاهَا كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَوَعَدَ السَّائِلَ مِنَ الْخَيْرِ أَجْمَعِهِ؛ فَفِي حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائِرُ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ،

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٣/ ٢٠٥)، رَقْم: (١٤٩٤٦)، وَسَنَدُهُ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّىٰ دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ».

فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟

قَالَ: **«لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»**.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَصِيَامُ رَمَضَانَ»**.

قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟

قَالَ: **«لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»**.

قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ.

قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟

قَالَ: **«لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»**.

قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا وَلَا أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ»[1].

---

(١) **مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، مِنْ حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ: الْإِيمَانِ، بَابٌ: الزَّكَاةُ مِنَ الْإِسْلَامِ (١/ ٩٠) رَقْمَ: (٤٦)، وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابِ: الْإِيمَانِ، بَابِ: بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ (١/ ٣٠) رَقْمَ: (١٠٩)، وَمَوَاضِعَ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: «**إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وَ«فِيهِ دَلِيلٌ – وَاللهُ أَعْلَمُ – عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَدَّىٰ فَرَائِضَ اللهِ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ **إِذَا اجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ**؛ لِأَنَّ الْفَلَاحَ مَعْنَاهُ الْبَقَاءُ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ الَّتِي أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، وَفَاكِهَتُهَا لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ. وَعَلَىٰ أَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْفَضَائِلِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ»»[١].

فَهَذِهِ الْأَرْكَانُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُومَ بِهَا.

وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَضَافَ:**

الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادَ

وَأَصْلُ ذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[٢].

---

(١) «التَّمْهِيدُ» (١٦/ ١٧٤) لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي** «صَحِيحِهِ»: كِتَابِ: الْإِيمَانِ، بَابِ: بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ =

«فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ بُغْضُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ؛ كَانَ عَادِمًا لِلْإِيمَانِ، وَالْبُغْضُ وَالْحُبُّ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ»[1].

وَلِذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمَيْنِ مِنْ أَسْهُمِ الْإِسْلَامِ الثَّمَانِيَةِ، وَإِذَا نَفَىٰ النَّبِيُّ ﷺ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ عَمَّنْ لَا إِنْكَارَ لَهُ لِلْمُنْكَرِ - وَلَوْ بِقَلْبِهِ -؛ فَقَدْ تَبَيَّنَ لِلْمُسْلِمِ مَكَانَةُ هَذَا الرُّكْنِ الْأَصِيلِ فِي الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَأَثَرُهُ عَلَىٰ الْعَبْدِ وُجُودًا وَعَدَمًا.

وَالسَّهْمُ الثَّامِنُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

وَفِيهِ يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ:

«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ؛ مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[2].

وَهُوَ سَهْمُ الْإِسْلَامِ الثَّامِنُ، ورُوِيَ فِيهِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ:

كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ.

= الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (١/ ٥٠) رَقْمَ: (١٨٦).

(١) «الْإِيمَانُ الْأَوْسَطُ (صَحِيفَةُ: ١٠١)، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: كِتَابِ: الْإِمَارَةِ، بَابِ: ذَمِّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ. (٦/ ٤٩) رَقْمَ: (٥٠٤٠).

قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ:**

تَعْبُدُ اللهَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ.

وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ.

وَتَصُومُ رَمَضَانَ.

وَتَحُجُّ الْبَيْتَ».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ:**

الصَّوْمُ جُنَّةٌ.

وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ.

وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ»؛ قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ**﴾، حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿**يَعْمَلُونَ**﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ: ١٦، ١٧].

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**».

قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ.**

وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ.

وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟».

قُلْتُ: بَلَىٰ، يَا نَبِيَّ اللهِ.

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا».

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[١].

وَهَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ مَانِعٌ، قَدْ جَمَعَ الْخَيْرَ كُلَّهُ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لِلْعَبْدِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا حَتَّىٰ يَسْتَسْلِمَ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَيَنْقَادَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِالطَّاعَةِ، وَيَبْرَأَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ؛ وَلِذَلِكَ خَتَمْتُ رِسَالَتِي هَذِهِ بِفَصْلِ: «الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ».

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٤/ ٣٠٨) بِرَقْمِ: (٢٦١٦)، وَغَيْرُهُ.

أَنْ تبْرأَ مِنَ الشِّرْك وأَهْله

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [الزُّخْرُفُ: ٢٦ - ٢٨].

وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ يُعْلِنُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَلِقَوْمِهِ الْبَرَاءَةَ مِمَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَيُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ: لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ، وَإِعْلَانِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَرَاءَتَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَعِبَادَتَهُ اللهَ وَحْدَهُ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ؛ يَعْنِي: فِي أَبْنَائِهِ وَأَبْنَاءِ أَبْنَائِهِ مِمَّنْ آمَنَ وَاهْتَدَى.

وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَّمَ الْبَرَاءَةَ مِنَ الشِّرْكِ قَبْلَ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢٥٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: ١٧].

وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ - وَغَيْرِهَا - «افْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطَّاغُوتُ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ - لَعَنَهُ اللهُ -، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ»(١).

فَيَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ الْبَرَاءَةُ مِنْ هَذِهِ الطَّوَاغِيتِ، وَإِعْلَانُ الِانْقِيَادِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَ«صِفَةُ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ؛ أَنْ تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَتَتْرُكَهَا وَتَبْغَضَهَا، وَتُكَفِّرَ أَهْلَهَا، وَتُعَادِيهِمْ.

وَأَمَّا مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ: فَهُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، وَتُخْلِصَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَتَنْفِيَهَا عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ

---

(١) «الثَّلَاثَةُ أُصُولٍ» (صَحِيفَةُ: ١٥)، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ الْمُجَدِّدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سِوَاهُ، وَتُحِبَّ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ وَتُوالِيَهُمْ، وَتُبْغِضَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَتُعَادِيَهُمْ.

وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، الَّتِي سَفِهَ نَفْسَهُ مَنْ رَغِبَ عَنْهَا، وَهَذِهِ هِيَ الْأُسْوَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾»[1].

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ مَدَحَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - لَمَّا تَبَرَّءُوا مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَتَأَسَّىٰ بِهِمْ، وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْثَقَ عُرَىٰ الْإِيمَانِ الْحُبَّ فِي اللهِ وَالْبُغْضَ فِي اللهِ.

وَلَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَطَاؤُهُ لِلَّهِ، وَمَنْعُهُ لِلَّهِ، وَإِقْبَالُهُ لِلَّهِ، وَإِدْبَارُهُ لِلَّهِ؛ فَيُوَالِيَ أَوْلِيَاءَ اللهِ، وَيُعَادِيَ أَعْدَاءَ اللهِ، وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ حُبُّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحُبُّ أَعْدَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟!

وَلِذَلِكَ نَهَانَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْمُشْرِكِينَ فِي الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ، بَلْ وَفِي الْعَادَاتِ؛ فَفِي الْعَقَائِدِ يَنْهَانَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ فِي أُصُولٍ؛ مِنْهَا:

---

(١) «مَجْمُوعَةُ رَسَائِلَ فِي التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ» (صَحِيفَةُ: ٤٩)، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ الْمُجَدِّدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْمُثْلَىٰ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَنبَرأُ مِمَّا نَسَبَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ لِلَّهِ؛ مِنَ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ لِلَّهِ.

- تَصْدِيقُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ: فَلَسْنَا بِالْمُكَذِّبِينَ أو مُحَارِبِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؛ كَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ جِهَةٍ، وَلَا بِالَّذِينَ يَعْبُدُونَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ؛ كَالَّذِينَ عَبَدُوا عُزَيْرًا وَالْمَسِيحَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - مِنْ جِهَةٍ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أُصُولٍ نُهِينَا أَنْ نَتَّبِعَهُمْ عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ فِيهَا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[1].

وَقَالَ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ** عَزَّوَجَلَّ»[2].

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَغَيْرُهَا تُبَيِّنُ لِلْمُسْلِمِ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ مُشَابَهَةُ هَؤُلَاءِ بَعْدَ إِذْ نَهَانَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ مُشَابَهَتِهِمْ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٢) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»: (٣/ ١٥٣)، وَمَوَاضِعَ، وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وَكَذَلِكَ نَهَانَا عَنْ مُشَابَهَتِهِمْ فِي الْعِبَادَاتِ؛ فَهَؤُلَاءِ الْيَهُودُ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَهُمْ نبذُوهَا وَلَمْ يُجَالِسُوهَا حَتَّىٰ تطْهُرَ، وَأَمَّا النَّصَارَىٰ فَإِنَّهُمْ يُجَالِسُونَ وَيُجَامِعُونَ الْمَرْأَةَ حَالَ حَيْضِهَا.

وَنَبِيُّنَا يَأْمُرُنَا بِمُخَالَفَةِ كِلَا السَّبِيلَيْنِ؛ فَنهَانَا عَنِ الْجِمَاعِ وَقْتَ الْحَيْضِ، وَنَهَانَا عَنْ هِجْرَانِهِنَّ، وَقَالَ: «**افْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْجِمَاعَ**».

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا، أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ، وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ**».

فَخَالَفَهُمْ فِي كُلِّ بَاطِلٍ، وَخَالَفَهُمْ فِي عَادَةٍ يَعْتَادُونَهَا، وَتَرَكَ مَا يَعْتَادُهُ لَوْ تَشَبَّهُوا بِهِ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ يُخَالِفُهُمْ فِيهِ؛ فَتبَيَّنَ أَنَّ مُخَالَفَتَهُمْ وَاجِبَةٌ فِي ذَاتِهَا مَا لَمْ يَكُنْ فِي حَقٍّ، وَبِعَدَمِ مُشَابَهَتِهِمْ يَقْوَىٰ الْقَلْبُ عَلَىٰ الْبَرَاءِ مِنْهُمْ، وَبِمُشَابَهَتِهِمْ يَمِيلُ الْقَلْبُ لَهُمْ، وَيَقَعُ فِي الْمُوَالَاةِ الْمُحَرَّمَةِ.

وَعِلَّةُ ذَلِكَ ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَتَىٰ افْتَرَىٰ مُفْتَرٍ عَلَىٰ نَسَبِكَ وَأَصْلِكَ؛ فَإِنَّكَ تَبْغَضُهُ وَتُفَاصِلُهُ مَا حَيِيتَ، فَكَيْفَ بِمَنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَنَسَبَ لَهُ الصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ؟!

وَلِذَلِكَ كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَغُضُّ بَصَرَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: لَا أَقْوَىٰ أَنْ أَرَىٰ مَنْ كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ وَكَذَّبَ رَسُولَهُ ﷺ.

وَقَدْ نَفَىٰ اللهُ الْإِيمَانَ عَنْ قَوْمٍ يُوَادُّونَ مَنْ عَادَاهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: ٢٢].

فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾»؛ أَيْ: لَا يَجْتَمِعُ هَذَا وَهَذَا، فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَقِيقَةً، إِلَّا كَانَ عَامِلًا عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْإِيمَانِ وَلَوَازِمِهِ، مِنْ مَحَبَّةِ مَنْ قَامَ بِالْإِيمَانِ وَمُوَالَاتِهِ، وَبُغْضِ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ وَمُعَادَاتِهِ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ.

وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، الَّذِي وُجِدَتْ ثَمَرَتُهُ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ، وَأَهْلُ هَذَا الْوَصْفِ هُمُ الَّذِينَ كَتَبَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ؛ أَيْ: رَسَمَهُ وَثَبَّتَهُ

وَغَرَسَهُ غَرْسًا، لَا يَتَزَلْزَلُ، وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِ الشُّبَهُ وَالشُّكُوكُ.

وَهُمُ الَّذِينَ قَوَّاهُمُ اللهُ بِرُوحٍ مِنْهُ؛ أَيْ: بِوَحْيِهِ، وَمَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ الْإِلَهِيِّ، وَإِحْسَانِهِ الرَّبَّانِيِّ.

وَهُمُ الَّذِينَ لَهُمُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَلَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ فِي دَارِ الْقَرَارِ، الَّتِي فِيهَا مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وَتَخْتَارُ، وَلَهُمْ أَكْبَرُ النَّعِيمِ وَأَفْضَلُهُ؛ وَهُوَ أَنَّ اللهَ يُحِلُّ عَلَيْهِمْ رِضْوَانَهُ، فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيَرْضَوْنَ عَنْ رَبِّهِمْ بِمَا يُعْطِيهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ، وَوَافِرِ الْمَثُوبَاتِ، وَجَزِيلِ الْهِبَاتِ، وَرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ؛ بِحَيْثُ لَا يَرَوْنَ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُمْ مَوْلَاهُمْ غَايَةً، وَلَا فَوْقَهُ نِهَايَةً.

وَأَمَّا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُوَادٌّ لِأَعْدَاءِ اللهِ، مُحِبٌّ لِمَنْ تَرَكَ الْإِيمَانَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا إِيمَانٌ زَعْمِيٌّ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ؛ فَإِنَّ كُلَّ أَمْرٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ بُرْهَانٍ يُصَدِّقُهُ، فَمُجَرَّدُ الدَّعْوَىٰ لَا تُفِيدُ شَيْئًا، وَلَا يُصَدَّقُ صَاحِبُهَا»[١].

وَفِي هَذَا كِفَايَةٌ وَغُنْيَةٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.

---

(١) «تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ» (صَحِيفَةُ: ٨٤٨).

وَلَابُدَّ أَنْ يُعْلَمَ

أَنَّهُ مَتَىٰ عَلِمَ وَعَمِلَ، وَعَلَّمَ مَا مَرَّ ذِكْرُهُ؛ وَقَعَ الْبَلَاءُ لَهُ، وَقَامَ عَلَيْهِ أَعْدَاءُ اللهِ، وَرُمِيَ بِالنَّقَائِصِ، فَإِذَا صَدَعَ بِالتَّوْحِيدِ رَمَاهُ الْمُشْرِكُونَ بِتَسْفِيهِ الْآخَرِينَ وَازْدِرَاءِ الْأَدْيَانِ! وَالتَّنَقُّصِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَمَا نَقَمَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا مِنْهُ إِلَّا أَنْ آمَنَ بِاللهِ رَبًّا وَخَالِقًا وَرَازِقًا وَمُسْتَحِقًّا لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَبَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَإِذَا أَثْبَتَ لِلَّهِ كَمَالَاتِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ حُسْنَىٰ وَصِفَاتٍ مُثْلَىٰ أَثْبَتَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ، وَنَفَىٰ عَنِ اللهِ مَا نَفَاهُ سُبْحَانَهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ الْحَكِيمِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ؛ قَامَتْ رَحَىٰ الْحَرْبِ عَلَيْهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ عَدَمًا تَارَةً، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ صَنَمًا تَارَاتٍ.

وَلَنْ يَسْكُتُوا عَنْهُ إِنْ رَفَعَ لِوَاءَ الِاتِّبَاعِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ يُحَارِبُونَهُ تَارَةً بِالْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ!

وَتَارَةً بِالْأَهْوَاءِ وَالْآرَاءِ!

وَتَارَةً بِدَعْوَىٰ التَّنْوِيرِ، وَحَقِيقَةُ دَعْوَاهُمُ التَّزْوِيرُ.

وَتَارَةً بِالتَّجْدِيدِ، وَحَقِيقَةُ دَعْوَاهُمُ التَّبْدِيلُ.

وَمَتَىٰ أَخَذَ الْمُسْلِمُ بِالْعَمَلِ بِالشَّرَائِعِ، وَالِالْتِزَامِ بِهَا؛ رَمَوْهُ بِالتَّشْدِيدِ تَارَةً، وبِالِانْغِلَاقِ تَارَاتٍ، وَلَا يَصْمُتُونَ عَنْ بَاطِلِهِمْ حَتَّىٰ يُخْرِجُوهُ فِي صُورَةٍ شَرْعِيَّةٍ بِطَرِيقَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ:

فَيَقُولُونَ: زَانِيَةٌ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ فِي كَلْبٍ سَقَتْهُ!

وَهَلْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَعْوَةٌ لِلزِّنَا، مَعَاذَ اللهَ! أَمْ جَاءَ لِيَدُلَّ عَلَىٰ عَظِيمِ أَثَرِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَهُوَ عَلَيْهِمْ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ.

أَوْ قَالُوا: لَا يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ الدِّينُ؛ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ!

وَهَلْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَعْوَةٌ لِتَرْكِ الصَّلَاةِ والصَّومِ أَوِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ!! أَمْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَغَّلَ فِي الدِّينِ وَلَكِنْ بِرِفْقٍ؛ فَيَعْرِفَ لِجَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَزُوَّارِهِ حَقَّهُمْ، كَمَا يَعْرِفُ لِرَبِّهِ وَدِينِهِ وَرُوحِهِ حُقُوقَهُمْ.

وَمَتَىٰ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ؛ سَمَّوْهُ عَدَائِيًّا، وَوَصَفُوهُ إِرْهَابِيًّا! وَدَعَوْهُ لِوَحْدَةِ الْأَدْيَانِ! حَتَّىٰ صَرَّحَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ لَا مَكَانَ لِلْعَقَائِدِ وَبَيَانِهَا لِلْمُسْلِمِينَ! وَلَوْ قَرَأَ هَؤُلَاءِ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: ١].

وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٤٤].

وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥١].

وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١١٨].

وَغَيْرَهَا آيَاتٍ كَثِيرَةً، لَعَلِمُوا حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَحَقِيقَةَ مَا هُمْ عَلَيْهِ!

وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الْحَقَّ وَسَطٌ بَيْنَ تَشْغِيبِ وَدَمَوِيَّةِ التَّكْفِيرِيِّينَ، وَبَيْنَ تَمْيِيعِ وَهَرْطَقَةِ الْمُجَدِّفِينَ؛ فَالْإِسْلَامُ سَلَامٌ لِلْأَرْضِ لَا يَعْرِفُ ظُلْمًا لِأَعْدَائِهِ! وَلَا تَعَدِّيًا عَلَيْهِمْ، بَلْ فِي التَّمَسُّكِ بِهِ سَلَامَةٌ لِلْأَرْضِ، فَكَمَا أَوْجَبَ الْإِسْلَامُ الْبَرَاءَةَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ؛ أَوْجَبَ نَشْرَ السَّلَامِ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْوَسَطَ الشَّرْعِيَّ عَزِيزٌ يَتَجَنَّىٰ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

وَلْيَعْلَمِ الْعَبْدُ أَنَّ سَبِيلَ النَّجَاةِ مِنَ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ، وَقَدْ جَاءَ – مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا – عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَىٰ النَّاسَ عَنْهُ. وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**»[(١)].

وَفِي الْحَدِيثِ إِنْذَارٌ لِمَنْ دَاهَنَ فِي بَيَانِ حَقٍّ، أَوْ تَقْرِيرِهِ، أَوِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ؛ لِأَجْلِ خَوْفِهِ مِنَ النَّاسِ، أَوْ طَلَبًا لِإِرْضَائِهِمْ، أَوْ طَمَعًا فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَلْيَعْلَمِ الْمُسْلِمُ أَنَّ الْحَيَاةَ هِبَةٌ مِنَ اللهِ، وَالْمَوْتَ بِتَقْدِيرِهِ؛ فَلَا سَعَادَةَ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا مِنَ اللهِ، وَلَا ضِيقَ فِيهَا إِلَّا بِأَمْرِهِ.



(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»: (١/ ٥١٠) رَقْمَ: (٢٧٦)، وَغَيْرُهُ.



خَاتِمَـةٌ

فَإِنْ قِيلَ لَكَ: مَا مَعْنَىٰ أَنْ تَكُونَ مُسْلِمًا؟

فَقُلْ: أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَنْ أَنْقَادَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَأَنْ أَبْرَأَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ الَّتِي دَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَالْعَمَلِ بِهَا نَجَاةٌ؛ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا وَهَلَكَةِ الْآخِرَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَحْفَظَ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِسْلَامَهُمْ، وَأَنْ يُبَصِّرَ الشَّارِدِينَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنَّا طَيْشَ الْبُغَاةِ - غُلَاةٍ وَجُفَاةٍ -، وَأَنْ يُوَحِّدَ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أَبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَىٰ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، آمِينَ.



الْفِهْرِسْــتُ